

الفصل الثاني

القبائل التي كونت أحياء أمدردمان في عهد الإمام المهدي ١٨٨٥:

القبائل التي كونت أحياء أمدردمان .

قامت أحياء أمدردمان على النظام القبلي حيث تعيش كل قبيلة في حي كامل مع وجود عرب الغرب في الجنوب وقبائل أولاد النيل في الشمال " خريطة رقم ٤" وقد قسم أبو سليم أمدردمان في فترة المهدي إلى أربعة قطاعات:-

القطاع الجنوبي: به حلة الفتيحاب شمالها فضاء واسع هذا الفضاء ديم يونس المكان الذي عسكر فيه الأمير يونس ود ألد كيم وبه أحد منازل الخليفة وهناك منزل آخر كاره الجهادية وغربها منزل قائد الجهادية ثم حوش الجهادية السود وشمالها يقع مشرع الموردة. ويقوم بهذه البقعة مجموعة كبيرة من أهل الغرب والهبانية والريزقات والحمر. ويقع في نهاية القطاع من الجانب الشمالي ومواجهة الفضاء الواسع مصنع الذخيرة وبيت الأمانة ومخزن الرايات والطبول ومنطقة الكبابيش، ومنطقة ألبرنو الفلانة والجوامعة والبرقو والتكارنة، ومنطقة لأهل الغرب^(١).

القطاع الشمالي الغربي: فيه حي قبيلة كنانة غرب المسجد، وحي دغيم شمال المسجد وبينهما حي غرب النيل الأبيض، وشمال غرب دغيم حي المسلمانية ثم المقابر ثم حي الدناقلة والكنوز والنوبيين ومنازل أحمد شريف وعائلة الخليفة شريف والسوق الكبير، منطقة غرب النيل الأبيض^(٢).

القطاع الأوسط: وهو محاط بسور كبير^(٣) به المسجد الكبير وقبة المهدي وجامع الصفيح ومنزل الخليفة علي ومنزل عائلة المهدي وبيوت أقاربه ومدرسة المهدي وبيت الخليفة عبدالله ومنزل يعقوب ومنازل القضاة وكتبة ديوان المهدي وحي الملازمين ومنطقة دغيم وبيت المال، حي المصريين أهل الخرطوم، وحي الهجرة ومنطقة الحلاويين وتجمعات قبلية مختلفة، مقابر الأشراف.

القطاع الشمالي^(٤):

يوجد به السوق الكبير وسوق الحرير ومساكن المصريين أهل مدينة الخرطوم القديمة، وفي الشمال الشرقي يوجد مسجد ودار أخرى للخليفة عبدالله ومنطقة الكنوز، والنوبيين وقد نمت أمدردمان في اتجاهات الشمال والغرب والجنوب الغربي^(٥).

(١) أبو سليم، تاريخ الخرطوم، مصدر سابق، ص ٨٨ - ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٢.

(٣) هذا السور أنشئ في عهد الخليفة عبدالله وليس المهدي.

(٤) أبو سليم، تاريخ الخرطوم، مصدر سابق، ص ٨٨ - ٩٠.

(٥) سلاطين باشا السيف والنار في السودان المصدر السابق، ١٩٣٠، ص ٢٧٣.

كما مشروع الموردة هو المشرع الرئيسي وعلى جانبي النهر حيث تمتد المراكب "والفلوكات"، التي تشحن وتفترغ هناك وقرب سوق الخشب. أما السوق فقد كان أهم أماكن للقاء وهو عبارة عن شبكة من الشوارع المتصلة ببعضها البعض كل مخصص لحرفة معينة مثل أعمال الفضة أو الجزارة أو بيع الملابس^(١).

تعيش في أمدرمان العديد من القبائل وكانت أهم قبائل أولاد البلد هي الدناقلة والجعليين والشكرية والنوبيين وأهم قبائل أولاد الغرب البقارة والمساليق والرزيقات والتعايشة والمسيرية ومن غرب كردفان الكبابيش والنوبة. ومن الشرق الهدندوة والمصوعية والمكاوية ومن غرب أفريقيا الفلانة والتكارير والهوسة^(٢) وقد قامت منازل الأشراف بالقرب من المسجد الكبير في القطاع الأوسط وقد نزح الأشراف بعد أن طردهم الخليفة إلى شمال المدينة في حي ود نوباوي الحالي بقيادة الخليفة محمد شريف^(٣).

مسجد الإمام المهدي:

وقد كان من المعالم البارزة في ذلك المعسكر حيث كان إحدى معالم المدينة البارزة ونقطة البداية والمحور الأساسي لخريطة المدينة. وقد كان عبارة عن زريبة بالقش يصلي فيه الناس ولكنه بموت المهدي حوله الخليفة عبدالله الجامع الكبير وأدخل عليه بعض الإصلاحات المختلفة حيث عظيم الإتساع لعددية هائلة من المصلين لأنه كان يحتم على الأنصار حضور الخمس صلوات في المسجد والذي لا مسجد سواه في المدينة.

وقد بني مائل السقف فيه بعض المظلات حتى يقي المصلين الهاجرة وكان يؤم المصلين المهدي وبعد وفاته أصبح يؤمهم الخليفة عبدالله ولما كان هذا المسجد من المعالم الهامة في المدينة كما ذكرنا فقد بنيت فوقه قبة كالعادة لدفن الأولياء والصالحين سيأتي الحديث عنها في الفصل القادم.

أما هذا المسجد فإنه قد شيد في عام ١٨٨٥م وتجد أنه كان محاطا بالشوك حتى ١٣٠٢هـ وفي عام ١٨٨٩م قام الخليفة بتغيير ذلك السور إلى الطوب الأحمر وطلاه بالجيش الأبيض.

ويتحدث عن ذلك الشيخ إسماعيل الكردفاني في كتابه المستهدي حيث قال أن حجر الأساس لهذا الجامع في إحتفال كبير قرأت فيه الإخلاص وبدأ الخليفة والأمراء وغلبة القوم ثم بقية الأنصار. وقد اختلفت المصادر عن أبعاد المسجد. وقد قدر عدد المصلين فيه بحوالي ٧٠ ألف وأكثر تحت ظلال الرواكيب على أعمدة محمولة من خشب^(٤).

وكانت هناك مساجد أخرى بجانب هذا المسجد وجامع الصفيح والذي هو جزء من المسجد وهناك مسجد صغير للجهادية في الكارا. أنظر ملحق خريطة رقم ٤. "بيت المال وأقسامه ومصادره وأمنائه:

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

(٢) محمد سعد القدال، السياسة الاقتصادية لدولة المهديّة، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٣) سلاطين باشا، السيف والنار، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٤) محمد إبراهيم أبو سليم، نفس المصدر السابق، ص ٩٠ - ٩١.

obeykandl.com

تغيير النظام الاقتصادي من نظام رأس مالي كان في العهد التركي إلى نظام ما يشبه النظام الاقتصادي للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين إذ أصبح بيت مال العموم بيت المال المركزي في أمدردمان وكان يشرف على النواحي الاقتصادية وينظمها وقد أنشأه المهدي في قدير لأول مرة وعين أحمد سليمان المهدي أميناً والذي عزل في فترة عبدالله التعايشي وعين بدله ود عدلان^(١).

وقد كان بيت المال في بادي أمر المهدي عبارة عن إدارة موحدة عليها أمين واحد وهو أمين بيت المال ثم قسم إلى عدة أقسام. كما كان بيت مال هو المحور الرئيسي الذي تدار بواسطته السياسة المالية لدولة المهدي وهي سياسة منبثقة من فكرة المهدي نفسها وقوامها العدالة والمساواة، ومعتمدة على الوسائل الشرعية المالية ولذلك فقد ارتبط في نشأته وتطوره بحركة الثورة المهدي وتطورها فقد ترتب على حركة الثورة المهدي قيام حملات عسكرية ضد الحكومة التركية القائمة آنذاك ولذلك فكر الإمام المهدي في تنظيم عمليات حربية ضد أبي السعود في الجزيرة في ١٢ أغسطس ١٨٨١م وتغنيمه لحملته ثم هزيمة الإمام المهدي لراشد أمين في الدويم ١٩/١٢/١٨٨١م.

ثم انتصاره الكبير على الشلالي في قدير في ٣/١١/١٨٨٣م كل ذلك أسفر بعد قرار الإمام المهدي في تنظيم حصر ورصد هذه الغنائم فعين أحمد سليمان في منشور رسمي كأول أمين لبيت مال المسلمين^(٢)، فكانت مهمة بيت المال في بادي الأمر تتحصر في حصر الغنائم وتوزيعها على المجاهدين وفق الطريقة الإسلامية التي اتبعها الرسول ﷺ في توزيع الغنائم. وقد أعطى سقوط الأبيض بعد الحصار الذي كان مضروباً عليها ما يقرب العام أهمية وشهرة للإمام المهدي حيث بدأ المهدي في تأكيد شرعيته وسلطته الدينية إذ أمر بجمع الزكاة من ذلك الإقليم ولقد تطورت إدارة بيت المال عقب سقوط الخرطوم إذ أن الإمام المهدي قد أصدر منشوراً يوضح فيه أن بيت المال هو الجهة الوحيدة لتوريد كل الغنائم والزكاة ثم يتم الصرف منهم لكل المجاهدين والمسلمين حسب تعداد أسرهم وإحتياجاتهم^(٣) وبعد سقوط الخرطوم لم تعد الزكاة والغنائم هي المصدر الوحيد لبيت المال فقد أضيفت عدة مصادر أخرى جاءت إضافة عامة بعد انتصار المهدي وتوليهم السلطات الشرعية في البلاد من هذه المصادر:

- المشارع النيلية^(٤) وهي أماكن وقوف المراكب على طول النيل وهي مشرع وسبيل يرتاده كل الناس ووسيلة هامة لنقل الجيوش وقد أمر الإمام المهدي بتأميم هذه المشارع وذلك في ٢٢ شعبان ١٣٠٢هـ - ٧/٧/١٨٨٥م.
- الجنان حول الخرطوم^(١) وهي كانت تابعة للشخصيات والبيوتات في العهد التركي وقد أممها الإمام المهدي أيضاً.

(١) منشورات مهدي، ج ٣، من المهدي إلى محمد خير عبدالله، ٢٢١.

(٢) أبو سليم، منشور المهدي، ٢٢، منشور بتعيين أحمد سليمان.

(٣) ١٤ جمادى الآخر ١٣٠٢هـ، ٢٠/٣/١٨٨٦م.

(٤) المشارع، جمع مشروع وهو المرفأ للمراكب النيلية.

• المواضع التي تدر دخلاً لبيت مال المسلمين كالدكاكين الواقعة على طول ضفة النيل الأزرق في الخرطوم والطواحين^(٢) والمعاصر وخلافه.

وبلغ تطور بيت المال في زمن الإمام المهدي قمته عندما أمر الإمام المهدي بصك العملة وتوضيح المعاملة بها بالنسبة للعملات الأجنبية التي كانت سائدة قبل المهدي^(٣).

وقد تطور بيت المال في عهد الخليفة تطوراً ملحوظاً بعد قيام قيام الدولة وأسباب الأمن والنظام وقد اختلف الخليفة عبدالله خليفة المهدي في أنه سن كثيراً من التشريعات التي لا تتعارض مع الشريعة مما أطلق لبيت المال يده فلم يجعله واحداً بل أنشأ له عدة أفرع في أمدرمان وفي العملات الأخرى ومن هذه الأفرع :

- ١- بيت مال الملازمين^(٤) وخصص له إيراد الجزيرة وتم إنشاؤه في فبراير ١٨٨٤م وتطور في ١٨٨٦.
- ٢- بيت مال العموم ومقره أم درمان.
- ٣- بيت مال الخمس والفيء، خصص له إيراد المشارع والمراكب وأراضي الغنيمة والغابات والصمغ والسن والعشور.
- ٤- بيت مال الخليفة إيراده الشرعي من الغنائم والزكوات والفيء والعشور.
- ٥- بيت مال الترسانة والحربية وخصص له إيراد جناين الخرطوم والسواقي والسن الوارد من الاستوائية واتفق على الإصلاحات الحربية وورش البارود والملح بالعلفون.
- ٦- بيت مال العمالة "قلعة عمله بيت المال منفصل".

أما عن بيت مال الملازمين فقد ذكرت المصادر التي اطلعت عليها " أن سبب نشوء ذلك الفرع نسبة لأن الفترة الأخيرة من حكم الخليفة أدت إلى تطور الحرس الخاص (يقصد الملازمين) وتطلب ذلك رصد مالية لهم"^(٥).

وبيت مال الخمس خمس للفيء أو الغنائم وهو المال الذي أصابه المسلمون وقسم خمسة أخماس على ضوء الآية (وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل". ويقول الدكتور صبحي الصالح " أن الفيء هو اصطلاح لغوي للمال الذي أصابه المسلمون دون قتال دون إيجاف بخيل ولا ركاب ويقسم كالغنيمة خمسة أخماس الأول لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. أما الأربعة أخماس الباقية

==

(١) أبو سليم، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٢) المعاصر هو جمعة معصرة وهي آلة محلية في السودان لصنع الزيوت وخاصة السمسم والفول وبعض المحاصيل التي تصنع منها الزيوت.

(٣) منشور المهدي في العملات، بتاريخ ١٢ صفر ١٣٠٢ هـ، ١٠/١١/١٨٨٤م.

(٤) الملازمين هم الحرس الخاص الذين يلازمون الخليفة في مقره بأمدرمان ويؤدون معه جميع الصلوات ويقومون بحراسته عسكرياً ويوجد الآن حي بأمدرمان يحمل هذا الاسم (حي الملازمين).

(٥) نعم شقير، المصدر السابق، ص ١٢٥٩.

فكانت تقسم في صدر الإسلام بين الجند ولشراء الأسلحة وعندما دون سيدنا عمر الدواوين ومنها ديوان الجند عرفت بمقادير الجند وأرزاقهم^(١).

ولم تشر الوثائق التي اطلعت عليها إلى وجود ما يسمى "بيت المال الخاص" بالرغم من أن هولت قد أشار إليه بأن يأخذ ضريبة العشر على البضائع القادمة من بربر لأمدرمان كما أنه يظن أن قوارب بيت المال الخاص تحولت إلى معديات وكانت تؤجر للتجارة وعن بيت مال خمس الخليفة يقول الدكتور إبراهيم شحاته " أن بيت مال خمس الخليفة قد أنشئ منذ بداية عهد الخليفة واعتمد موارده أساساً على غنائم سرية حمدان أبي عنجة في الغرب والغالب أنه قد أنشئ لسد حاجة الأنصار في بداية عهد الخليفة وأهل الغرب نسبة لتعرضهم للضييق بسبب موقف أمين بيت المال أحمد سليمان بالإضافة إلى نفقات الملازمين والنفقات الخاصة ببيت الخليفة وإدارته الخاصة فلا يضطر إلى الاصطدام مع أمين بيت المال العام من أجل تلك النفقات التي تعدها الحركة المهدية مظهر من مظاهر الدنيا الواجب نبذها^(٢).

والراجع أن الخليفة عبدالله فصل بيت مال الخمس عن بيت مال العموم^(٣). وأضاف إليه إيراد مال الفيي وصرف منه على الجيوش وأسماه بيت "مال الخمس والفيي" وصرف منه على الجيوش عامة وحرصه الخاص، كما أنه لا يوجد دليل على وجود بيت مال فيء مستقل منفصل عن بيت المال^(٤).

وقد ذكر سلاطين باشا بأن بيت مال الخمس قد أنشأ في ١٨٩٥ وهو بيت مال خاص بالخليفة وأطلق عليه نعوم شقير نفس الاسم وأشار إليه بإيجاز بمال الفيي وقد كان غير رسمي ولكن طوره الخليفة إلى مؤسسة رسمية^(٥).

ثم أنشأ الخليفة فرعاً آخر لبيت المال وهو بيت مال ترسانة الخرطوم Khartum Dokyard والحربية وخصص لها ربع جناين الخرطوم والسواقي التي حولها والسفن الوارد من خط الاستواء كما ذكر شقير^(١) وقد ذكرت بعض الوثائق بأن هناك بعض الإصلاحات التي قام بها من بيت المال على ضوء المبالغ^(٢) المصدقة بها لإنجاز مشغل الطريحة الجديدة وورشة البارود والملح بالعليفون والشجرة. وكانت حسابات بيت المال برئاسته وفروعه بالعاصمة والأقاليم تحرر بدقة كاملة على كشوفات ورق مقوى والمادة المستعملة للكتابة هي العماريخط عربي واضح بأرقام عربية. (العمار مادة تشبه الحبر الاسود يكتب بها سابقاً) (٢)

(١) صبحي الصالح .د. النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، طبعة ثانية، بيروت، ص ٣٦٨.

(٢) إبراهيم شحاته د. المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٣) فيصل محمد موسى، بيت المال حساباته وإدارته، مقال بمجلة الدراسات الأفريقية، الخرطوم، ١٩٨٦م.

(٤) فيصل محمد موسى، بيت المال حساباته وإدارته، مقال بمجلة الدراسات الأفريقية، الخرطوم، ١٩٨٠

(٥) سلاطين باشا السيف والنار: المصدر السابق ١١٥.

(٢) نعوم شقير المصدر السابق ص ١٢٦.

(٣) مهدية بيت مال ترسانة الخرطوم ٥٢/١، دارالوثائق المركزية محفوظة.

(٤) سلاطين باشا السيف والنار: المصدر السابق ١١٥.

كان بيت المال ينتقل من مكان إلى آخر حسب تطور الثورة المهديّة فعند بداية الثورة المهديّة كان في قدير ثم انتقل إلى الأبيض ثم إلى الرهد وعند حصار الخرطوم كان مقره ديم أبي سعد خارج مدينة أمدرمان في شكل زريبة وبعد انتصار الثورة واختيار أمدرمان عاصمة للحكم تم إنشاؤه بها كما يقول سلاطين باشا (٣) إذ شيد شمال أمدرمان بالقرب من النيل ويمتاز ذلك البناء بفخامته وانقسامه إلى أجزاء متساوية في تلك الأروقة كانت تجمع البضائع الواردة إلى أمدرمان من جميع نواحي السودان ومنه مخزن الثبونة وهو ميدان كبير لحفظ الرقيق يقع على مقربة من بيت المال في جهة الجنوب دار بيع الرقيق وملحق به بيت المال الحربي وهي بيت الأمانة مخزن السلاح.

وخلال ما تقدم نصل إلى أن النظام المالي الذي بدأ في عهد المهدي كان اسلامياً صرفاً من واقع حركة الجهاد وقد تطور في عهد الخليفة عبدالله تطوراً ملحوظاً اتبعت في إدارته أحسن السبل الحسابية والإدارية وفي رأيي رغم تعثره بعض المشاكل لكنه استمر حتى نهاية المهدي.

موارد بيت المال:

بما أن الدولة المهديّة قامت على أساس ديني فقد كان من البديهي أن يكون الإطار العام للنظام المالي هو النمط الإسلامي يحكم فيها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية وقد اتضح ذلك من الصورة العامة لواردات الدولة ومصارفها. فقد كانت وارداتها هي الزكاة والغنيمّة، مال الفياء والعشور وعلى السلع ذات الأهمية الاقتصادية كالقمح وسن الفيل "العاج" والمصادرات من الدور والإيجار للمشاريع المؤممة والمراكب.

أما مصروفات الدولة فكانت على الإنشاءات العمرانية والجيوش والموظفين وآل المهدي وآل الخليفة والخلفاء ونفسر هذه المواد كما يلي :

(أ) الزكاة:

ويذكر الدكتور صبحي الصالح في معرض حديثه عن الزكاة " الزكاة هي الصدقة أوهي نوع من الضريبة الإسلامية فرضت على الذين يخرجونها لقوله تعالى: (الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ويعتبر مال الزكاة حق للفقراء وقد أمر الله تعالى بأخذها من أموال الأغنياء. "ولذلك نجد أن المهدي ومن بعده الخليفة عبدالله التعايشي يشددان في جمعها". (٤)

وكانت الزكاة تجبي من المال والحرث والماشية والتجارة وتسمى حق الله^٥ والحقوق فيما يتعلق بزكاة الحرث فقد شمل الأراضي المملوكة ملكاً حراً، نسبة لأن معظم الأراضي في المهديّة كانت تابعة لبيت المال باعتبارها في حوزة الدولة فقد كان النمط المتبع هو أن يدفع المزارع أو المؤجر نصيباً من إنتاجه لبيت المال وهو ما يسمى بالزكاة أو الزكوات أو حق الله. ونصابها عشر المحصول أو نصف العشر ونصيب الزكاة محدد في الشرع الإسلامي. وقد منع المهدي والخليفة تجاوز الأنصبة بالنسبة لزكاة الحرث وهي المفروضة في أحد منشوراته حيث يقول^(١).

(١) صبحي الصالح: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها ص ٣٣٥

"أما زكاة الحبوب فالنصاب الذي يجب الإخراج منه خمس أوسق والوسق ستون صاعاً ففيه العشران سقي بالمطر أو البحر بدون فاعل وفيما سقي بالساقية^(١) كما يذكر ابوسليم والدواليب نصف العشر".

وقد كانت طريقة توريد الزكاة لبيت المال هي أن المهدي أو الخليفة من بعده يعين مندوباً بمرسوم رسمي إلى جهة ما ويوكل إليه جمع وتحصيل الزكاة أو "حق الله" ويوجه المرسوم إلى أهالي الجهة عامة وفيه توجيه ديني لكل من الأهالي وإلى المندوب الذي يقوم بجمع الزكاة إلى بيت المال في الجهة نفسها .

وهذا المرسوم^(٢) من الخليفة حدد عماله الأقطاب المندوب لها أحمد إبراهيم من الجهة الصعيدية من بحر^(٣) أزرق فامكة والدندر ومن بحر أبيض قوز أبو جمعة ومن السافل^(٤) حدود عمالة شرق الإقليم وغريه. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد ، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق إلى كافة الأهالي المزارعين لأطيان الفنائم الفيء من في الحدود الموضحة على وجه العموم كان الله لهم أمين. بعد السلام عليكم أن أرفع هذا إليكم المكرم قد أمرنا هذا لخدمة الحقوق المقررة على تلك الأقطاب في هذه السنة وهي ثلاثة عشر فسلموا إليه كافة ما عليكم بغاية الصداقة والأمانة بدون إخفاء شيء طرفكم فإن في ذلك سلامتكم وخلص ذمتكم وأنت أيها المكرم أحمد إبراهيم فأنا حسبنا الظن بك وندبناك للمصلحة المذكورة فألزم تقوى الله والسير في من ندبت إليهم بالعدل والاستقامة وعدم الظلم وأذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فإننا طوقناك هذا الأمر في ذمتك فكن واقف مع الإشارة مؤدياً لما ندبت إليه بالأمانة التامة والسلام.

بختم الخليفة ، ٢٨ ربيع أول ١٣١٣هـ.

وقد كانت تحدث مشاكل في بعض الحالات من الخراج فكانت تعالج بالتوصية الدينية كما ذكر أبو سليم^(٦)

(ب) الخراج :

هو نوع من أنواع الضريبة تفرض على الأرض التي فتحت صلحاً دون قتال مع المشركين وتقدر من حاصلاتهم الزراعية ومن أموالهم ويسمى هذا المقدار خراجاً وغالباً ما يوقف على مصالح المسلمين يؤخذ الخراج أيضاً من أراضي الفيء وهي التي استحوذ عليها المسلمون بالصلح مع أهلها وبغي هؤلاء على دينهم.

(ج) الفيء:

هو المال الذي أصابه المسلمون دون قتال ودون إيجاف ولا ركاب وبقي أهله على دينهم ولا يقسم كالغنيمة وإنما يؤول لبيت مال المسلمين وتدخل في نطاقه أراضي الفيء وإن نظرت فيه فإنه كان يقوم على أمرين كما يقول أبو سليم هما طريق الفتح بحيث تكون صلحاً بدون قتال مع جماعة المسلمين وأعدائهم الذين يبقون على دينهم حتى توقيع الصلح. وثانيها

(٢) جمعها سواقي: وهي آلة محلية في السودان تستعمل لرفع الماء من النهر.

(٣) فيصل محمد موسى: مقال بيت المال، مصدر سابق.

(٤) كلمة بحر في السودان تطلق أحياناً على النهر والمراد بها هنا النيل الأبيض والنيل الأزرق.

(٥) السافل، يراد بها جهة الشمال وعلى العكس "الصعيد" جهة الجنوب.

(٦) ابوسليم مصدر سابق.

حال أهل الأقاليم من إسلامهم أو بقائهم على دينهم السابق فإن أسلموا صاروا في جماعة المسلمين ورفعوا عن الأرض العشر أسوة بغيرهم من المسلمين وإن بقوا على دينهم دفعوا الخراج .

(د) الغنائم :

وهي حسب المفهوم الإسلامي التي تؤخذ من العدو أثر قتال وقد اتبع مفهومها في المهديّة فأصبحت تشمل أموال المدن التي يتم الاستيلاء عليها قصراً مثل :

- أموال مدينة الخرطوم وبربر وغيرهما .
- أموال الناقمين على المهديّة .
- أموال مستخدمي حكومة الترك في السودان .
- أموال المحاربين للمهديّة والهاربين من المدن المحاصرة .
- أموال أثرياء الحرب وأموال المرتدين عن المهديّة .
- أموال النصارى والترك باستثناء الذين سلموا في قبل واقعة هكس باشا^(١) .
- أموال المقربين على الحدود بغرض النهب لحدود الحبشة وأموال مرتكبي الموبقات كالخمر والتمباك^(٢) .
- أموال التجار الذين يفدون من الخارج بدون إذن سلطات المهديّة وهو ما عبر عنه النور الجريفاوي بأموال الكفرة^(٣) .
- أموال الغنائم الواردة من ربع برنجية^(٤) والأرباع الأخرى .

وكان يتم تقسيم الغنائم في عهد المهدي لبيت المال حيث تحصى وتوزع كما نصت عليه الشريعة الإسلامية . كما ورد في منشور الإمام المهدي محمد لخالد زقل^(٥)

وفي عهد الخليفة عبدالله أيضاً كان تورد لإدارة بيت المال وأصبحت دخلاً يصرف منه على الجيوش وتصرف منها المرتبات كما يقول أبو سليم^(٦) .

(العشور) :

يقول صبحي الصالح في توضيحه للعشر في صدر الإسلام: "بأنها ضرائب تؤخذ من التجار على البضائع من قيمة بضاعة التجار الكافرين إذا قدموا بها إلى دار الإسلام وإذا لم يدفعوها لا يسمح لهم بالدخول ويشبه ذلك عصرنا الحالي

(١) ولیم هكس باشا: أحد القواد الانجليز العظام أرسل لآخاماد ثورة المهديّة وقد تكونت حملته من الانجليز والمصريين والأتراك مذودا بأحدث الآلات النارية ، هزمه المهدي في شيكان بالقرب من الأبيض ١٨٨٨/١/٥م .

(٢) التمباك، يراد به التبغ وهو من الأشياء التي حرّمها المهدي .

(٣) أبو سليم الأرض في المهديّة المصدر السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) ربع ، اسم لفصيلة من المحاربين وفق التنظيم العسكري لدولة المهديّة والاسم المضاف إليها قائد الفصيلة .

(٥) مهديّة ١٨/١/٤ محمد خالد زقل ، دار الوثائق المركزية الخرطوم .

(٦) أبو سليم ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

الضرائب الجمركية كما أن العشور تؤخذ أيضاً من زكاة الحرث باعتبارها خراج بالنسبة للمواطنين المقيمين في دار الإسلام".

أما عن العشور في دولة المهديّة يذكر هولت كان بيت المال يأخذ العشر من البضائع الواردة من بربر ويؤيده في ذلك سلاطين باشا^(١) حيث ذكر: " كان المفروض على صاحب كل بضاعة واردة إلى السودان أن يدفع ضريبة عبارة عن عشر قيمة الوارد وقد ألزمت الحكومة أصحاب التجارة المتعددة بدفع هذه الضريبة إما نقداً وإما عينياً. وكان بيت المال يضع عليها ختم الحكومة ومن ذلك الحين تجبى الحكومة العشر".

إدارة بيت المال :

كانت إدارة بيت المال في دولة المهديّة موحدة عليها أمين واحد هو أمين بيت المال هو أمين بيت مال المسلمين ولكن بعد تطوره أصبح له فرع من كل العمالات فكانت الأفرع في العمالات الآتية:

بيت مال عمالة الجزيرة - بيت مال عمالة بربر - بيت مال عمالة دنقلا - بيت مال عمالة الشرق - بيت مال عمالة جنوب النيل الأزرق - بيت مال عمالة الغرب - بيت مال عمالة بحر أبيض - بيت مال عمالة بحر الغزال. وكان في كل بيت مال عدة مصالح مصلحة رئيس وكتاب ومناوين على مستوى المناطق والأحياء ويقومون بتصريف المهام ببيت المال المتمثل في :

١. الإشراف على حركة التجارة الداخلية والخارجية^(٢).
٢. الإشراف على التموين الرسمي للجيش و تموين المواطنين^(٣).
٣. الإشراف على مرتبات الأعيان.
٤. الإشراف على صيانة أموال الزكاة والغنائم والفيء والعشور.
٥. الإشراف على حركة الأسطول النهري التجاري ولقد كانت طريقة بيت المال في تقدير وجمع الزكاة التي يقوم بها عمال بيت المال وتقوم على أساس ديني وهي أن المهدي والخليفة من بعده كان يعين مندوباً بمرسوم رسمي إلى جهة ما يحدد فيها تحديد جغرافي للمساحة التي يجري فيها التحصيل ويلزمه فيها بجباية الزكاة. أما في أم درمان فقد اختلف الأمر في إنهاء محصورة وأحياناً معروفة وتتمثل في اتباع الأمراء والقواد لكل قبيلة من القبائل التي تقطن أم درمان فكان يعين لكل حي أمين من مصلحة الدين يساعده كاتب زكوات ويكون من أهل الحي من ذوي السمعة الطيبة والمكانة الدينية الرفيعة وهم مسئولون لدى أمين بيت مال العموم في أم درمان^(٤).

(١) هولت، دولة المهديّة في السودان، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٧٦.

(٢) بابكر بدري، مذكراتي الجزء الأول، ١٩٥٩م، أم درمان ص ١٧٠.

(٣) أوراق الأمير يعقوب، مهديّة.

(٤) فيصل محمد موسى، المرجع السابق.

أما عن الكادر الإداري الذي يعمل في إدارة بيت المال يتم تعيينه أيضاً من مصلحة البناء ويعتبر العمل في بيت المال خدمة للمسلمين ويصرف المواطنين مرتباتهم من بيت العاملين عليها ويشمل بيت المال عدداً من المكاتب وهي " كما جاء في مذكرات عوض المرضي"^(١).

- ١- مكتب أمين بيت مال أم درمان "بيت العموم".
- ٢- مكتب نائب أمين بيت المال.
- ٣- مكتب الدعاوى والكتاب والمساعدون والحسابات.
- ٤- مكتب خدمات التجميليات.
- ٥- مكتب خدمة الخزينة.
- ٦- مكتب خدمة إيرادات بيت المال والورش.
- ٧- مكتب خدمة إيرادات المواشي والزكاوات وإيجار المحال التجارية التابعة لبيت المال.

وقد أشرك الخليفة في الإشراف على بيت المال أخوه الأمير يعقوب الذي اختص بالشؤون المالية -الخاصة برايات الجيوش كما أشرف يعقوب في ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م على قسم بيت المال الخاص بالأمانة وقد امتد سلطانه إلى عمالة بربر وكانت مأساة ود عدلان منطلقاً لشكوك الخليفة و يعقوب ليحتل مركزاً ممتازاً في الإدارة حيث استكمل إشرافه على إدارة المهمات الحربية بفصل قسم الأمانة وضمه للترسانة تحت إدارة واحدة هي بيت مال الأمانة وقد أدى هذا الخضوع والإشراف المباشر على بيت المال من قبل الخليفة في أن يوجه ونجت باشا^(٢) اتهامه للخليفة عبدالله في أنه ابتدع وطور النظام المالي لمصلحته الشخصية واعتمد ونجحت عندما كتب^(٣) تحت عنوان: " نظام الخليفة في جمع المال". ولكنهم عندما دخلوا أمدرمان بعد الفتح ونبشوا أرضية بيت يعقوب لم يجدوا شيئاً من ذلك فقهذا يدل على عدم صحة ما كتبه عن الخليفة عبدالله.

أمناء بيت المال:

تعاقب على إدارة بيت المال الآتي ذكرهم وهم من خيرة رجال المهديّة ومشهود لهم بالكفاءة:

- ١- أحمد ود سليمان من ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م إلى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م.
- ٢- إبراهيم محمد عدلان من ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م إلى ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م.
- ٣- النور الجريفاوي من ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م إلى ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م.

(١) قائمة بأسماء الكادر الإداري في فترة أمين بيت المال، العوض المرضي، ١٣١٠هـ.

(٢) ولد فرانسيس زيغال ونجت ١٨٦١ وتوفي في سنة ١٩٥٣م والتحق بالجيش الإنجليزي ثم عمل في خدمة الحكومة المصرية واشترك في عدة معارك حربية في السودان ضد المهديّة، أنشأ قلم المخابرات المصرية ولعب دوراً هاماً في استعادة فتح السودان ١٨٩٦ - ١٨٩٨م، كان مساعد كتشنر باشا للأمين فضل علي الخليفة عبدالله في أمديكرات سنة ١٨٩٩.

(٣) نعوم شقير: جغرافية وتاريخ السودان، ١٢٨٩.

- ٤- العوض المرضي من ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م إلى ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م.
- ٥- إبراهيم رمضان من ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م إلى ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.
- ٦- العوض المرضي من ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م إلى ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.
- ٧- الحاج يس النيل من ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م إلى ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م^(١).

والسبب في تعدد الأماناء هو خضوع بيت المال مباشرة وتوجيه جهده للإتفاق على حركة الجهاد وكان سبباً في عدم مقدرته على الإلتزام بتسيير أعماله الأخرى وهي توفير احتياجات السكان من المواد الغذائية لاحتكاره التجارة وكذلك عدم مقدرته على استصلاح الأراضي التابعة لإدارته وهي أرض الغنيمة والفيء، لهذا نرى تعاقب عدد من الأماناء لإدارته.

١- **أحمد ود سليمان** من سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م إلى ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م:

هو من قبيلة المحس في شمال السودان عينه المهدي أميناً عام بموجب المنشور الصادر منه بتاريخ جماد الأول سنة ١٣٠٠هـ^(٢) وذلك أوضحه المهدي " ولم أجد من قدم لي ساعة العفة والزهد والأمانة مع صدق النية والخدمة والهمة العالية كمثل أحد سليمان وقد وقف أميناً لي على لوازم المسلمين وبيت المال".

وتشير الوثائق المالية المختلفة إلى أنه كان دقيقاً في حساباته وملاحظاته رغم أن البلاد كانت في حالة حرب وقد كان له دفاتر كاملة فيها جميع المنصرفات ولديه مستندات الصرف.

أما الأسباب التي أدت إلى إقصائه من منصبه في عهد الخليفة عبدالله فغير واضحة. ويذكر هولت بأنه أقصي من منصبه لأنه كان من المعارضين للخليفة اعتقل من منصبه في ٢٦/٤/١٨٨٦م حيث ادعى الخليفة انه لم يستطع مراجعة ما طلبه منه لبيت المال.

والراجح أنه أبعد من منصبه لكونه من الأشراف وجاء ذلك في سلسلة التصفيات التي أجراها الخليفة لنفوذ الأشراف وقد خلفه منصب أمين بيت المال إبراهيم محمد عدلان الذي كان يشغل وكيل بيت المال في عهد المهدي.

٢- **إبراهيم محمد عدلان** من ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م إلى ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م: ذكر هولت^(٣) أنه رجلاً من سكان مدينة مدني كان تاجراً مرموقاً التحق بالمهدي وترك أمواله وقبل أن يعمل في خدمة بيت المال تحت أحمد ود سليمان واكتسب خبرة كافية عند سقوط بربر أرسل لحصر الأموال والغنائم الداخلية لخزينة الدولة. كان أميناً دقيقاً للإجراءات الحسابية التي تتبع في تسجيل الإيراد والصرف. أما عن سبب إقصائه فيذكر هولت الذي نقل عن سلاطين أنه فشل في مد جيش الخليفة المقيم في أم درمان كما أنه اصطدم مع الخليفة عبدالله سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م عندما أمره الخليفة بالذهاب إلى الجزيرة لإمداد الجيش بالذرة فسجن لفشله في مهمته. أعدم وقبل إعدامه حرق كل ما يتعلق به من مستندات وأموال. ويبدو

(١) فيصل محمد موسى، رسالة الماجستير، المصدر السابق.

(٢) مهدية ١/٨/٤ - أحمد وسليمان "ج" وثيقة "٨" مخطوطة لدار الوثائق المركزية بالخرطوم.

(3) IN."2"P.M.Holt: the Mahdist State in the Sudan. Page 146, second edition.

أن عدائه مع يعقوب أخو الخليفة كان سبباً في إقصائه واتهامه له بالتعامل مع مصر وقبيلته^(١) وحمايتهم على حساب التعايشة. انخفضت العملة في عهده وذلك لخلطها بالفضة والنحاس وأصبح ذلك عملاً مريحاً لبيت المال، نقص الريال من ٨.٧ إلى النصف^(٢).

٣- النور الجريفأوي: من ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م إلى ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م:

هو النور الجريفأوي بن الشيخ دفع الله من الحلاوين أمسك بإدارة بيت المال في سنين الخليفة الصعبة وكان يعمل بالإدارة التركية قبل ذلك. اتسم عهد بدقة الإجراءات المالية في المكاتبات وكان يختم ويمضي كل وثيقة مالية^(٣) بإمضائه وختمه. حاول بقدر الإمكان تفادي الأخطاء التي وقع فيها الذين سبقوه. في عهده ازداد انخفاض العملة بنسبة ٨ : ١ وتضاءلت الفضة حتى أصبحت مجرد طلاء سرعان ما يزول بكثرة التداول. عقبه على أمانة بيت المال العوض المرضي^(٤) :

٤- العوض المرضي^(٥) :

اسمه الحقيقي العوض المهدي عند قيام الثورة المهديّة غيره بعد انضمامه إلى صفوف المهديّة حتى لا يختلط اسمه مع محمد أحمد المهدي وذلك تادباً. ولد في عام ١٨٣٠م في العهد التركي المصري عمل باشكاتب لمديرية التاكا ثم هاجر لأم درمان بعد سقوط الخرطوم أوكل إليه الخليفة العديد من الأعمال المالية حيث عين فيما بعد أميناً لبيت مال العموم، سجن في أواخر عهد الخليفة عبد الله التعايشي وظل مسجوناً في كسلا حتى توفي في سنة ١٩١٠م خلفه إبراهيم رمضان الأسواني لمدة ثلاثة أشهر وخلفه الحاج يس حمد النيل. وكانت سيرة جميع الأمناء حسنة وإلا أنهم لم يرضوا طموح الخليفة وأخيه يعقوب وتدخلهم في إدارة أعمال بيت المال.

ونخلص من المادة التي وقفنا عليها عن إدارة بيت المال في عهد الدولة المهديّة كانت ذات نمط إسلامي قد أتبعت القواعد الإدارية والحسابية المتعارف عليها في البلاد الإسلامية في ضبط أعمالها. وكانت تخضع مباشرة لرأس الدولة وقد تعاقب عليها رجال أكفاء لكن تدخل الخليفة وأخيه يعقوب كانت سبباً في عدم مقدرة بيت المال على تصريف مهامه الأخرى مما ترتب على ذلك تعاقب أكثر من أمين في فترات وجيزة.

(١) الكواهلة، قبيلة عربية بالسودان تعمل بالرعي بغرب ووسط السودان ترجع تسميتها إلى كاهل.

(٢) هولت، دولة المهديّة في السودان "مغرب"، ص ١٧٢٣.

(٣) مهديّة ٦١/٢ و ١/٥ - بيت مال العموم - حساب الترسانة والجنانين مخطوطة، دار الوثائق القومية بالخرطوم.

(٤) نقلت هذه الترجمة، فيصل محمد موسى، ماجستير، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥) نقلت هذه الترجمة، فيصل محمد موسى، ماجستير، المرجع السابق، ص ٩١.